فان معنى الاختيار الظاهري لان الله قد علم وقوع الفعل ولا بد وخلق في العبد القدرة عليه
اجيب بانه تعالى لا يسئل عما يفعل ولذلك قال سيدي ابراهيم الدسوقي من نظر للخلق بعين
الحقيقة عذرهم ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم فالعبد مجبور في صورة مختار والصوفية
يشيرون للجبر كثيرا وحاشاهم من الجبر الظاهري وانما مرادهم الجبر الباطني ويقولون نفي
التاثير رد مذهب المعتزلة قوله فليس مجبورا الخ اي اذا علمت ان للعبد كسبا في افعاله
الاختيارية فاعتقد ان العبد ليس مجبورا ولا اختيار له اصلا فتسميته مختارا مجبورا فكانه
قال لا اختيار له في صدور افعاله عنه وهو مسلط عليه النفي السابق فالمراد انه ليس
لا اختيار له بل له اختيار وغرض المصنف بذلك التصريح بالرد على الجبرية في قولهم ان العبد
مجبور لا اختيار له في صدور جميع افعاله عنه فهو كريشة معلقة في الهواء تميلها الرياح
يمينا وشمالا قال شاعرهم موردا على اهل السنة

ما حيلة العبد والاقدار جارية ... عليه في كل حال ايها الرائي
القاه في اليم مكتوفا وقال له ... اياك اياك ان تبتل بالماء
واجاب بعض اهل السنة بقوله
ان حفه اللطف لم يمسسه من بلل ... ولم يبال بتكتيف والقاء
وان يكن قدر المولى بغرقته ... فهو الغريق ولو القي بصحراء

والواجب اعتقاده ان بعض افعاله صادر باختياره والبعض الاخر باضطرار لا باختياره
كما قال المصنف الفرق الضروري بين حركة البطش وحركة المرتعش وليس كلا يفعل اختيارا
اي وليس العبد يفعل كل فعل حال كون ذلك الفعل اختياريا فكل معمول ليفعل وقدم عليه
ويفعل بمعنى يخلق فالمعنى ليس العبد يخلق كل فعل من افعاله الاختيارية وظاهر ذلك
انه يخلق بعض افعاله الاختيارية لان القاعدة انه اذا تقدمت اداة السلب على اداة
العموم افادت سلب العموم كما في قولهم لم اخذ كل الدراهم مع ان المراد انه لا يخلق شيئا الا اوله
يقال قوله ولم يكن مؤثرا قرينة على المعنى المراد والقاعدة اغلبية لا كلية فالمراد هنا عموم
السلب كما في قوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور وغرض المصنف بذلك التصريح بالرد على القدرية

في قولهم

فان يثبنا فبمحض الفضل
وان يعذبنا فبمحض العدل

في قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية وانما صرح بالرد على كل من الجبرية والمعتزلة
في هذا البيت مع فهم الرد على كل منهما من البيت قبله كما تقدم التنبيه عليه لان القوم لا
يكتفون في مقام رد المذاهب الفاسدة الا بالتصريح قوله فان يثبنا الخ متفرع على ما تقدم
من وجوب انفراده تعالى بخلق افعال العباد وانهم ليس لهم فيها سوى الكسب ووجه
التفريع انه لم يحصل منهم خير يستحقون به ثوابا ولا شر يستحقون به عقابا لما تقرر
ويصح ان تكون الفاء للفصيحة لانها افصحت عن شرط محذوف والتقدير اذا علمت انفراده
تعالى بخلق افعالنا خيرا كانت او شرا فان يثبنا الخ تنبيه اتفقوا على ان بني ادم مثابون
ومعاقبون واما الملائكة فتوقف في الكلام في اثابتهم عند قول المصنف كل عبد طوعه
وكلفوا واما الجن فقد اتفق العلماء على ان كافرهم معذب في الاخرة واختلف في مؤمنهم على
اقوال فقيل انهم كالانس يثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية وقيل لا ثواب لهم
الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا كالبهائم وقيل يكونون في ربض الجنة يراهم
الانس من حيث لا يرونهم عكس ما كانوا عليه في الدنيا وقيل يكونون في الاعراف ذكره
الجلال السيوطي مع ما يشهد لكل من الاحاديث اه مع شيء في بعضها قوله فبمحض الفضل
اي فاثابته لنا تعالى بفضله المحض اي الخالص والاضافة في كل منهما من اضافة الصفة للموصوف
ومعنى الفضل المحض الاعطاء من اختيار كامل لا عن ايجاب بحيث يثيبنا ولا اختيار له
في الاثابة ابدا لكونه علة تنشأ عنها معلول تماما عن اختيارها كما يقوله الحكماء ولا عن
وجوب بحيث تصير الاثابة مستحقة لازمة يتحتم عليه تعالى فعلها فيثيبنا باختياره لكن مع
الوجوب كما يقوله المعتزلة فمذهب اهل السنة ان اثابته تعالى لنا بالفضل الخالص غير
مشوبة بايجاب ولا وجوب فقولنا بالفضل رد لكلام الحكماء وقولنا الخالص رد لكلام
المعتزلة ويدل لمذهب اهل السنة ان طاعات العبد وان كثرت لا تفي بشكر بعض
ما انعم الله به عليه فكيف يتصور استحقاقه عوضا عليها قوله وان يعذب فبمحض
العدل اي وان يعذبنا فتعذيبه انما هو بالعدل المحض اي الخالص والاضافة في كل منهما
من اضافة الصفة للموصوف كما في نظيره ومعنى العدل المحض وضع الشيء في محله من غير

Copyright © King Saud University